الفصل الثانى عشر

طـريقة التعـليم المحديه

ان نجاح اى عملية تعليمية تعتمد على الطريقة التى يستخدمها المعـلم فى توصيل المعلومات والمعارف الى تلاميذه مما يحقق اكتساب التلاميذ لهذه المعلومات عن رغبة واقتناع بها ، كما يتوقف على قدرة المعـــلم فى تهيئـة نفوس المتعلمين مما يجعلهم على استعداد لاستيعاب وقبول كل معـــلومة تقدم اليهم ٠

والى جانب ان طريقة التدريس هى علم له قواعده ومبادئه وأساسياته فى العصر الحديث فهى أيضا فن وموهبة فطرية تختلف من معلم الى آخر ٠ ولقد ابتكر التربويون على مر السنين عدة طرائق تربوية وتعليمية كل منها اثبتت نجاحا لفترة وسرعان ما يكتشف رجال التربية المسئولين عن تطبيقها عقم هذه الطريقة أو تلك وعدم مناســبتها لتحقيق التعلم لكل المتعـــلمين فيبحثوا عن طريقة أخرى حتى توصل الخبراء والمتخصصون فى المنـــاهج وطرق التدريس الى عـدة طرائق تعليمية يطلق عليها الطريقة التقليدية ، والطريقة المحورية ، وطريقة المشروعات ، وطريقة دالتون وغيرها من طـــرق التعليم الوضعية أى التى وضعها البشر ، وتميزت كل طـــريقة منها بانها تعالج نواحى جزئية وليست وحدها طريقة شافية لمشاكل التدريس ٠

اما طريقة التعليم السماوية التى استخدمها الرسول عليه الصـــلاة والسلام فى تعليم وتعديل سلوك الجاهلين قد اثبتت نجاحا هائلا فى تبليغ الرسالة ونشر الدعـوة بين المتعلمين جميعا على اختلاف عقليتهم وثقافتهم وبيئتهم وعـــرفهم وتقاليدهم ولهجاتهم بل ظروف حياتهم ٠ رغم تعنت بعضهم وعنادهم واصرارهم على كفره غير أن هـذا لا يرجع الى قصـور فى الطريقة وانما يرجع الى مشيئة الله ٠ فلو شـــاء الله لآمن من فى الارض جميعـا ٠

قال تعالى :

« والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم »(١)

---

(١) سورة يونس آية ٢٥ ٠

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره النـــاس حتى يكونوا مؤمنين » (١) ٠

وسنحاول فى هذا الفصل التعرف على طريقة التعليم التى استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام حتى نتوصل الى سر نجاحه فى نشر الدعوة الاسلامية وسر هذا الانقلاب التربوى الذى نقل عرب الجزيرة من قوم بدو متخلفين أميين الى شعب ذو حضارة اسلامية عظيمة أذهلت العالم كله على مدى عدة قرون وخاصة فى العصور الوسطى ٠

نوعية المتعلمين فى الجزيرة العربية :

كانت الدعوة الى التعليم فى فجر الاسلام موجهة الى الناس كافة وكافة فى الجزيرة العربية مستويان من المتعلمين هما : الاميين من العرب الوثنيين ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى المشركين ٠

« وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم » (٢) ٠

والاميين من العـــرب الوثنين كانوا يحتاجون الى طـــريقة فى التعليم تناسب عقولهم وضلالتهم تختلف عن الطريقة التى يدعو فيها أهل الكتـــاب الذين اكتسبوا المعارف والعلوم الدينية من كتبهم التوراة والانجيل ٠ وهذه الفئة قد حصلت على العلم من قبل ولا يحتاجون الا لتذكرتهم بما جاءهم به الرسل لعلهم يذكرون ٠ فحدد الرسول مستويات المتعلمين وحدد نوع المعـــارف التى يقدمها الى كل منهم والطريقة التى تقدم بها هذه المعرفة ٠

أما الفئة الاولى او المستوى الاول من المتعلمين أولاد اسماعيل عليـــــه السلام فكان أن توارثوا ملة أبيهم ابراهيم عليه الســـلام ومنهاجه الذى بعث به من توحيد الله وعبادته والوقوف عند حدوده وتقديس حرماته فلما امتدت بهم القرون وطال عليهم الأمد اخذوا يخلطون الذى توارثوه بكثير من الباطل الذى تسلل اليهم ، فدخل فيهم الشرك واعتادوا عبادة الاصنام وتســـللت اليهم التقاليد الباطلة والاخلاق الرذيلة ، فابتعدوا بذلك عن منهج الحنيفية وعمت بينهم الجاهلية أبدا من الدهر ٠

وتمت العملية التعليمية لهذه الفئة بالدعوة ق او ل الأمر بالرجـــوع الى دين أبيهم ابراهيم فى قوله تعالى :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ٠٠ » (٣) ٠

---

(١) سورة يونس آية ٩٩ ٠
(٢) سورة آل عمران آية ٢٠ ٠
(٣) سورة الحـــج آية ٧٨ ٠

ومنها قوله تعالى :

« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »(١) ٠

وهذه الفئة المراد تعليمها لم يكن لديها كتاب فقد ضاع كتاب اسماعيل وضاع من بعده السلف الاولون الذين حفظوا تعاليمه ومبادئه ولم يبق منها سوى بعض العادات ومبادىء الدين الحنيف وشعائره مثل تعظيم البيت الحرام والحج والعمره والوقوف بعرفة وأن كانت هذه الشعائر والمبادىء لا تكاد تظهر فى حياتهم الا مشوهة فاسدة ٠

وكان تعليم هذه الفئة لابد أن يبدأ بأساسيات الاسلام ومبادىء التوحدانية وشعائر الدين ٠ ومثل هذه الأوليات لا يتعلمها الفرد الا بالتلقين والحفظ والاستظهار ٠ ولما كانت الديانة الاسلامية هى دين سلوك ومعاملة كان من الضرورى ان يستخدم التقليد مع التلقين ليتعلموا تطبيق مبادىء الاسلام واداء فرائضه ، ومن ثم كانت طريقة التدريس لهذه الفئه هى التلقين مع التقليد مع استخدام القصص القرآنية كوسيلة للاتعاظ والاعتبار ٠

أما الفئة الثانية أو المستوى الثانى من المتعلمين وهم المشركين من اليهود والنصارى ٠ فهم كما ذكرنا أصحاب كتاب سماوى ولا يختلف ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام مع رسلهم فى العقيدة والاخلاق انما يختلف معهم فى الايمان بوحدانية الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات ، فكل نبى كان يدعو قومه الى الايمان وكان كل منهم يأتى مصدقا لدعوة من قبله ومبشرا ببعثة من سيأتى بعده ٠ ولم تختلف دعوات الأنبياء الصادقين فى شأن العقيدة فمن غير المعقول أن يبعث أحد الأنبياء ليبلغ الناس ان الله ثالث ثلاثة « سبحانه عما يقولون » ثم يبعث من بعده نبى آخر ليبلغهم ان الله واحد لاشريك له ويكون كل منهم صادقا فيما بلغ من الله تعالى ٠ ولذا بدات دعوة الرسول الكريم لهذه الفئة بقوله تعالى :

« شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) ٠

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٥ ٠
(٢) سورة الشورى آية ١٣ ٠

فقد بعث الله موسى عليه السلام مثلا الى بنى اسرائيل بالتوراة ، ولما مرت الازمنة بعث عيسى عليه السلام وكان يحمل شريعة فى الانجيل أسهل وأيسر مما كان قد بعث بها موسى وكلهم بعثوا بالاسلام الذى هو الدين عند الله • غير ان من ينسبون انفسهم الى موسى عليه السلام قد احتفظوا بعقيدة خاصة تختلف عن عقيدة التوحيد التى بعث بها الأنبياء كلهم ، كما آمن الذين يدعون نسبتهم الى عيسى عليه السلام بعقيدة خاصة أخرى • ومن أجل هذا بعث الله نبيه محمدا برسالة الى الناس كافة ليعلمهم وينذرهم ويبشرهم ويذكرهم •

ويرشد عقولهم بالرجوع عما اختلفوا فيه • ويقول سبحانه وتعالى :

« ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » (١) •

وهذه الفئة من المتعلمين جاءهم الرسول بكتاب مصدق لما بين أيديهم فما عليهم الا الايمان بالقرآن واداء فرائض الاسلام واتباع شريعته دون اكراه « فلا اكراه فى الدين » وانما بالحكمة فهم عالمون بكتاب ربهم وبطريقه الجدال بالتى هى أحسن فهم قوم عاقلون فكانت الطريقة الاخرى التى استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام فى عملية التعليم هى الحكمة والجدال بالتى هى أحسن مع استخدام البرهان وضرب الامثال للعظة والتذكره •

ويمكن اجمال الطريقة التى استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام فى التعليم فيما يلى «حتى يهتدى بها رجال التربيه فى الوقت الحاضر **باعتبارها شريعة تربوية جاءت من القرآن والسنة المحمدية** » •

أولا : طريقة التلاوة (التلقين) مع التقليد :

كان على كل مسلم بعد اعلان اسلامه بقوله الشهادتين : الشهادة بأن لا اله الا الله ، وان محمد رسول الله ـ ان يحفظ آيات من القرآن الكريم بطريقة التلاوة • اذ يتلو الرسول الآيات كما انزلت عليه من الوحى ويرددها بعده المسلمون حتى يحفظونها عن ظهر قلب وطريقة التلاوة هى أمر من الله لرسوله الكريم فى قوله تعالى :

« ••• وأمرت أن اكون من المسلمين ، وان اتلوا القرآن •• » (٢) •

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩ •

(٢) سورة النمل آية ٩١ ، ٩٢ •

« واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (١) ٠

وفى التلاوة كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يرتل القرآن ترتيلا حتى تكون كل كلمة ينطق بها واضحة لدى المتعلمين فيتدبرون القرآن ويفهمونه ٠

« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ٠

وفى التلاوة أمر الرسول المتعلمين بحسن الاستماع والانصات التام حتى تستقبل عقولهم ما يتلى عليهم ٠

قال ابن قتيبه الدينورى فى كتابه « عيون الاخبار » نقلا عن السابقين :

أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العقل ، والخامس النشر ٠

وما كان الصمت والانصات وحسن الاستماع الا أمر من الله ٠ فى قوله تعالى :

« واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » ٠

وحكمة الانصات والاستماع أثناء الدرس القرآنى تقتضى الا يكتب المتعلمون شيئا وقت التلاوة مما يتعلمون ٠ ولم يكن العرب وقتئذ فى حاجة الى الكتابة لانهم اعتادوا الحفظ عن طريق التلقين لما وهبهم الله من قوة الذاكرة ، كما أن عدم الكتابة لما يتلى عليهم لم يكن لعدم معرفة الكثيرين بالكتابة وانما لحكمة تناقلها الخلف عن السلف جعلت العرب يفضلون الحفظ فى الذاكرة عن حفظ المعلومات فى الكتب والكراريس ٠

وتتجلى هذه الحكمة فى قول على بن أبى طالب :

« استودع العلم قرطاسا فضيعه ، وبئس مستودع العلم الكراريس » ٠

ويقول ايضا :

« القلوب أوعية (للعلم) خيرها أوعاها » ٠

وقال معمر :

« لو عورض الكتاب مائة مرة ، ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط أو خطأ » ٠

---

(١) سورة الاعراف آية ١٧٥ ٠

وهكذا كان على الرسول المعلم التلاوة وكان على المتعلمين الاستماع والانصات التام ثم الحفظ ثم التفقه فيما حفظوه ، وقد اتبع المسلمون هذه الطريقة مع المبتدئين فى التعليم تمثلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما طلب تلاميذ أبو سعيد الخدرى منه ان يكتبوا الحديث ليحفظوه وقتما يشاءون ويرجعون اليه اذا نسوا قال لهم :

« خذوا عنا كما أخذنا من نبينا صلى الله عليه وسلم »

وقال ابن عباس :

« انا لا نكتب العلم ولا نكتبه » .

وكما سبق ان ذكرنا ان حفظ العلم فى القلب وخاصة القرآن والسنة لم يكن يرجع الى عدم معرفة الصحابة والمتعلمين المسلمين بالكتابة وانما رأوا نقلا عن نبيهم ندر صلى الله عليه وسلم انه اذا استودع العلم فى الكراريس اتكالا منهم على الرجوع اليها وحفظ العلم فيما بعد قد يعود عليهم بالضرر ، فقد تفقد الكراريس أو تضيع وعندئذ يضيع العلم أو ما تعلمونه » .

لذا قال موفق الدين البغدادى :

« واذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على ان تستظهره ، وتملك معناه ، وتوهم ان الكتاب قد عدم ، وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده » .

ولذا سار المسلمون فى تعليمهم على الدرب ونهجوا منهج الرسول فى طريقة التعليم التى تبدأ بالتلاوة والحفظ عن ظهر قلب ، وقد ذكر ابن خلكان فى كتابه « وفيات الاعيان » ان الامام أحمد بن حنبل حفظ عن ظهر قلب ألف الف حديث ، فى حين أن البخارى قد حفظ وهو صبى ما يقرب من خمسة عشر الف حديث وذكر بن عسكر عن داوود الخفاف أنه قال : « املى علينا ابن راهوية أحد عشر ألف حديث من الذاكرة ثم أعادها دون ان ينقص أو يزيد حرفا واحد وهذا دليل على قوة ذاكرته .

ولم يكن التعليم لهذه الفئة من العرب الوثنيين والكفار نظرية بحتة وانما ارتبط النظر بالتطبيق والعلم بالعمل حيث بين الرسول عليه الصلاة والسلام جوانب التطبيق العملى للمعرفة النظرية باستخدام طريقة التقليد مع التلاوة فالمعرفة عن طريق التلاوة وقراءة القرآن حيث يكون التعليم فيها مشافهة باستخدام الالفاظ وحفظها واستظهارها وهو ما يطلق عليه علماء التربية التعليم اللفظى » كان يصاحبها الترديد وتقليد الصوت ومخارج الالفاظ وترتيل الآيات وتجويدها وهذا يعرف بالتقليد الصوتى ، اما التقليد الحركى والذى نقصد به العمل فقد استلزمه تعلم الفرائض مثلى فريضتى الصلاة والحج فما تعلمه المؤمنين من معارف نظرية عن الصلاة قاموا بتطبيقها عمليا خمس مرات فى اليوم فكان الرسول يقف اماما لهم يقرأ القرآن ويرددون

وراءه ثم يركع ويسجد فيقلدونه . وفى قوله عليه الصلاة والسلام « صلوا كما رأيتمونى أصلى » أى قلدونى ، فان ذلك دعوة منه لتطبيق المعرفة النظرية ، وكذلك فى الحج حيث تؤدى مناسكه بدعاء الى الله ومناجاته لفظيا ويردد المسلمون هذه الألفاظ حيث يقولون لبيك اللهم لبيك ... الخ . ثم يطوفون بالكعبة ثم الوقوف بعرفة ، ورجم الشيطان وغيرها من الافعال العملية التى أداها المسلمون بالتقليد المصاحب للترديد اللفظى وهذا تلبية لأمر الرسول المعلم حيث قال :

« خذوا عنى مناسككم » .

أى قلدونى واتبعونى . وفى الوضوء أيضا كان المسلمون يقلدون الرسول عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى :

« قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (١) .

وطريقة التلقين والحفظ والاستظهار طريقة مألوفة عند الامم القديمة قبل الاسلام الا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أهتم بالفهم والتدبر بعد التلقين واستحب العلم القائم على التفكير والمعرفة التى تظهر فى السلوك وليس التى تختزن فى العقول .

وقد عنى الصحابة وعلماء الاسلام من بعده بهذه الطريقة .

التقليد : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » (٢) .

« أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثرهم مهتدون » (٣) .

« واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » (٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .
(٢) سورة المائدة آية ١٠٤ .
(٣) سورة الزخرف آية ٢١ ، ٢٢ .
(٤) سورة البقرة آية ١٧٠ .

طريقة القصص :

القصة لغة من قص الأثر أى تتبعه ، وفى لسان العرب القصة الخبر المقصوص بفتح القاف ، والقصص بكسر القاف وهى تعنى الأمر والحديث ويعرف أبو هلال العسكرى القصص ، عند بيانه للفروق بينها وبين الحديث فيقول :

« ان القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا من سلف ، ومنه قوله تعالى :

« نحن نقص عليك أحسن القصص » (١) .

وقوله :

« كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق » (٢) .

وأصل القصص فى العربية اتباع الشىء ، ومنه قوله تعالى :

« وقالت لأخته قصيه » (٣) .

وسمى الخبر الطويل قصصا لان بعضه يتبع بعضا حتى يطول ، وانما استطال السامع الحديث قال هذا قصصى .

ويتبين لنا من تعريف ابى هلال العسكرى انه يقص القصص حتى ما كان متعلقا بأحداث أو أخبار الماضى ويقول فى الفرق بينه وبين الحديث « والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلا وقصيرا أما القصص فهو ما كان طويلا » والقصة قد تتناول موضوعا عاطفيا أو سياسيا أو دينيا وغير ذلك وهو ما نجده فى قصص العرب فى الجاهلية أو فى الاسلام . فالقصة تتعلق بأحداث أو أخبار الماضى على خلاف الحديث الذى يكون عمن سلف وعمن حضر ولا يشترط ان تكون الاحداث أو الاخبار تاريخية أى متعلقة بالتاريخ فيكفى ان تكون متعلقة بالماضى حتى ولو كانت تدور حول أشخاص عاديين .

وقد وجد فى الجاهلية قصص كثير تنوعت موضوعاته فمنه ما كان يدور حول الحروب والغزوات ، ومنه ما كان يدور حول العشق والحب ، ومنه ما كان يدور حول الجان والسحر ، والامر الذى فيه العرب فى الجاهلية وقبل الاسلام عما هو شائع بعد الاسلام أنهم كانوا يحفظون أحداثا ويتناقلون أخبارا تتميز على غيرها من حيث ما فيها من اثارة

---

(١) سورة يوسف آية ٣ .
(٢) سورة طه آية ٩٩ .
(٣) سورة القصص آية ١١ .

وغرابة ، كذلك فانهم لم يدونوا تلك الاحداث والاخبار بعد أن صارت قصصا ولكنهم كانوا يحفظوها فى ذاكرتهم ، ورددوها فيما بينهم فانتقلت من جيل الى جيل مع ما اقترن به هذا الانتقال من اضافات وزيادات ، وتعديلات كانت تضفى على القصص قدرا أكبر من التعقيد أو التشويق والاثارة ومن ثم المبالغة فى الوصف والتصوير ٠

ولم تقتصر القصص على ما كان منها ذو صلة بالاحداث المحلية ، ولكنه شمل ضروبا من القصص مما كان شائعا فى المجتمعات المجاورة للجزيرة العربية مثل فارس والشام ومصر والهند وغيرها ، والتى كان التجار العرب يترددون عليها للاتجار مع سكانها فكانوا يعودون منها محملين لا بالمال والسلع فحسب بل وبما تلتقطه اذانهم وتعيه ذاكرتهم من القصص التى كانوا يسمعونها أثناء اقامتهم فى هذه البلاد ٠ ولذلك نجد التراث الادبى للعرب قبل الاسلام يتضمن الكثير من القصص الاجنبى المنقول من مصر والشام وفارس والهند ، وبعضه بقى كما هو أى فى صورته وشكله الاجنبيين، والبعض الآخر وان احتفظ بمضمونه الا أنه قد تعرض لما يمكن أن نسميه عملية تعريب بحيث استبدلت فيه اسماء الاشخاص والاماكن باسماء أخرى عربية ، وربما ادخلوا بعض التعديلات عليه بحيث يبدو كما لو كان قد حدث فى البيئة العربية ٠

اما قصص القرآن فهى قصص عن حياة الانبياء والرسل والاقوام السابقة على الاسلام فقد اراد الله ان يفرق بينه وبين قصص العرب (١) التى قام بعضها على الخيال أو الكذب أو التحريف أو التعريب بالاضافات والتعديل فى قوله تعالى :

« ان هذا لهو القصص الحق » ٠

وقوله تعالى :

« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن » ٠

ولقصص القرآن هدف خاص بالرسول وأهداف عامة للناس ٠ اما الهدف الخاص فهو تثبيت فؤاد الرسول امام الكفار والمشركين من أهل العلم والكتاب ٠

قال تعالى :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (٢)٠

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى - السنة الثامنة - العدد ٢١٣ - رمضان ١٤٠٢ هـ يولية ١٩٨٢ - مقال بعنوان « قصص القرآن وقصص القصاص ٠ للدكتور أحمد على المجدوب صفحة ٦٤ - ٧٠

(٢) سورة هود آية ١٢٠ ٠

اما الاهداف العامة فمن بينها الانذار والعظة والعبرة والتذكرة وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى ٠

قال تعالى :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » (١) ٠

وقوله :

« الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى » (٢) ٠

استخدام القصص للموعظة واكتساب القيم الخلقية :

قال تعالى :

« نحن نقص عليك أحسن القصص ٠٠ » ٠

تذكر لنا كتب التاريخ أنه كان للعرب فى الجاهلية شغف وشوق بسماع القصص وميل شديد الى الرواية ٠ وقد ساعدهم على ذلك أوقات فراغهم الكثيرة فى الصحراء الواسعة ، وكانت قصصهم تشير الى كثير من القيم على الرغم مما تقوم عليه من خرافات مثل قصة الحية والفأس ، والقصص التى دارت حول الوقائع الحربية فى الجاهلية مثل قصه يوم داحس ، والغبراء ، ويوم الفجار ، او قصص الحرب والغزو بين القبائل العربية وغيرها من القبائل الاخرى مثل قصة يوم ذى قار بين بنى شيبان والفرس ٠ وكانت هذه القصص موضوع العرب فى سمرهم ٠

ولم يغفل الرسول عليه الصلاة والسلام القيمة التربوية للقصه فاستخدم أسلوب الموعظة القصصية كما نزلت عليه فى القرآن فقد جاء الوحى على الرسول بقصة آدم عليه السلام وحكمة استخلافه فى الأرض ، وعصيان ابليس عن السجود لآدم وعزمه على اغواء الناس وفتنتهم ، فجازاه الله على عصيانه واخرجه من الجنة ولعنه الى يوم الدين ٠ وكذلك قصه ابراهيم وشريعته وعداوته للوثنية فى شتى صورها حتى لقد حطم كثيرا من اصنامها ، كذلك قصة موسى مع فرعون وتسهب القصة فى الحوار الذى دار بينهما ابان تبليغ موسى عليه السلام برسالته الى فرعون وتتكرر الآيات فى كثير من السور المكية مقرونة بالتحذير من الشرك والتكبر فى الأرض بغير الحق ٠ وغيرها من صص القرآن التى اشتملت على كريم مقاصده سبحانه وتعالى من تهذيب الأخلاق والنفوس وتجميل الطباع ونشر الحكمة،

---

(١) سورة يوسف آية ١١١ ٠
(٢) سورة الانعام آية ١٣٠ ة

والقصة فى القرآن تساق أحيانا مساق الحوار وطورا مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والانذار ، كما حوت القصص أيضـ" كثيرا من تاريخ الرسل واقوامهم والشعوب وحكامهم وشرح أخبار قوم اهتدوا فمكن الله لهم فى الأرض ، واقوام ضلوا فساءت احوالهم وخربت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال يضرب بهم الامثال مما تدعو الناس الى العظة والتدبر ٠

وكانت القصة موضوعا من موضوعات الدراسة مثلت جزءا من الجدول الدراسى الذى وضعه الرسول عليه الصلاة والسلام بين موضوعات التعليم الأخرى من قراءة القرآن وتفسيره ورواية الحديث وتأويله ، والفرائض والحدود وغيرها من الموضوعات وكانت القصة من الدروس المحببة للمتعلمين فاستخدمها الرسول لتملك عليهم قلوبهم وتتفتح له عقولهم ٠

والى جانب قيمتها التربوية والتعليمية كانت القصة القرآنية تحفع الملل والسامة عن نفوس المتعلمين وتجدد نشاطهم الذهنى ٠

وبذلك كان الاختلاف واضح بين أسلوب القصص فى الجاطية واسلوب القصص فى القرآن ، فقصص القرآن من عند الله جاءت فى قول بين واسلوب حكيم ولفظ رائع وامتنان عجيب ، ومن ناحية الهدف لم تكن تشغل وقت فراغهم وحديث سمرهم انما ملأت عليهم حواسهم وجوارحهم وبهرت عقولهم بما فيها من الايمان الصحيح والعلم النافع والمثل والقيم العليا فى السلوك والقدوة الحسنة ممثلة فى الصالحين من الأنبياء والراشدين من الأمم والقبائل ٠

ثانيا : طريقة الجدال القائم على العلم :

« قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (١) ٠

وقال تعالى :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (٢)٠

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ ٠

(٢) سورة لقمان آية ٢٠ ٠

استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام طريقة فى تعليم أهل الكتاب المشركين تختلف عن الطريقة التى استخدمها مع الجاهلين الوثنيين فأهل الكتاب أصحاب علم وعقل ولكنهم انحرفوا بعقيدتهم الى الشرك بالله لذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعوهم الى سبيل الله عن طريق الجدال والمناقشة وذلك بوسيلتين : الحكمة والموعظة الحسنة ٠

والجدال القائم على العلم هو نوع من المناقشة تدور بين سائل ومسئول ويكون فيه المسئول اجل من السائل ويتوفر فيه قوة الحجة والبلاغة فى القول ، يختصر فى غير تقصير (وهذا يسمى الحكمة) واذا احتاج الى البيان بالشرح أطال فى غير هذر ولا تكدير (وهو ما يسمى بالموعظة الحسنة) والبلاغة هى صواب الكلام واستحكام الحجة والاستغناء عن الاكثار ٠

« قال رجل للشافعى : يا أبا عبد الله ، ما البلاغة ؟ قال : البلاغة ان تبلغ الى دقيق المعانى بجليل القول ، قال فما الاطناب ؟ قال : البسط ليسير المعانى فى فنون الخطاب ، قال فايما عندك أحسن الايجاز أو الاسهاب ؟ قال : لكل من المعنيين منزلة فمنزلة الايجاز عند التفهم ، ومنزلة الاسهاب عند الموعظة ، الا ترى ان الله تعالى اذا احتج فى كتابه كيف يوجز ، واذا وعظ كيف يطنب ، فى مثل قوله محتجا « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) ٠

واذا جاءت الموعظة جاء بأخبار الاولين وضرب الامثال بالسنف الماضيين » ٠

وتحدث عملية الجدال فى خطوات ثلاث هى :

- الخطوة الاولى يبدأ السائل باستطلاع رأى المسئول فى موضوع أو فكره بان يقول السائل : ما تقول فى كذا ؟ فيقابله جواب من جهة المسئول فيقول : كذا ٠

- والخطوة الثانية : يسأل السائل عن الدليل فيقول : ما دليلك عليه ؟ فيقول المسئول : كذا ٠

- والخطوة الثالثة : يطلب السائل من المسئول أن يبين ويوضح الدليل، ويكون السائل هنا على سبيل الاعتراض عليه والطعن فيه ، فيجيب المسئول عنه ويبين بطلان اعتراضه وصحة ما ذكره من وجه دليله ٠

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢ ٠

قال على بن ابى طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« العلم خزائن ومفتاحـــه الســـؤال فاســـئلوا يرحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعـــة :

السائل والمعلم والمستمع والمحب لهم ·

وقد استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام فى طريقة الجدال بينه وبين العرب المشركين كلا الوسيلتين : الحكمة والموعظة الحسنة · اذ انه نظـرا لاختلاف نوعية المتعلمين من حيث مستواهم العقلى والفكرى فقد يتطلب ذلك من الرسول المعلم عليه الصلاة والسلام ان يخاطب كل فئة على قدر عقولها ، فاستخدم مـع الكفار - من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب يتلون التوراة والأنجيل - الجدال بالحكمة أى باستخدام الجمـل الموجزة والالفاظ البليغة دون تفصيل لانهم قوم عالمون ويعقلون كل ما يقال لهم وخـــاصة ان كلمات القرآن تمس العقل والقلب فتجعلهم يخرون للاذقان ســجدا · اما المشركين الوثنيين من ســلالة اسماعيل فلم يكن لديهم كتاب ســماوى وانما كانوا يسيرون على تقاليد آبائهم ويسلكون بالفطرة فاستخدم الرسول عليـــه الصلاة والسلام معهم الموعظة الحسنة التى تحرك قلوبهم فتستبصر عقولهم·

قال تعالى :

« قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » (١) ·

وقد هدف الرسول من استخدام أسلوب الدعوة الى الله على بصـيرة الى السمو بعقول الوثنيين الاميين وأهل الكتاب الى طريقة التفكير العلمى، ولذا خطا معهم بخطوات التفكير العلمى التى تصل بهم الى نتيجة واحـدة وهى وجود الله ووحدانيته وأنه هو الذى بدأ الخلق وأنه سوف يعيده عندما تحين الســاعة ·

وقد سارت خطوات التفكير العلمى فى المنهج الســماوى فى الخطـوات التاليـــة :

أولا : أعداد الذهن للتفكير عن طريق الجدال والمناقشة :

لما كان ذهن الرجل العربى الجاهلى خاليا من أى علم أو معرفة بوحدانية الله وقدرته فأى مناقشة علمية بين الرسول المعلم والجاهلى كان لابد أن تبدأ بأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى يسأل وهو الذى يجيب حتى يتعلم الجاهليون الاجابة الصحيحة والمعرفة التى تنقصهم ، فجاء فى سورة يونس أحد الدروس التى بدأ بها الرسول فى الجدال العلمى ·

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ ·

قال تعالى :

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١) ٠

هذه كانت حقيقة عقلية الجاهلين وعقيدتهم وكان على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يناقش هذه الحقيقة حتى يتعرف العرب الوثنيين على أنفسهم ويعرفون حقيقة الله ٠

ومن هذه القضية أو تلك الحقيقة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم مناقشته :

« قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون » ٠ (١)

« قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ، كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » ٠

« قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ، قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع » ٠

« أمن لا يهدى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون » (٢) ٠

وبعد هذا الدرس حصل المتعلمون على قليل من المعرفة وتعلموا ان الله هو الحق وأحق أن يتبع ٠ وكان على الرسول أن يتابع دروسه التى تهيىء الذهن وتعد العقل الى التفكير ٠ فلابد من درس آخر يذكر فيه الرسول صلوات الله عليه المتعلمين بما درسوه وان اجابوا على تساؤلاته فيكون ذلك أول خطوة لاعداد العقل للتفكير والتدبر ٠

قال تعالى :

« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون الله ، قل أفلا تتذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (٢) ٠

---

(١) سورة يونس آية ١٨ ٠
(٢) سورة يونس آية ١٨ ، ٣١ ، ٣٥ ٠
(٣) سورة المؤمنين آية ٨٤ ، ٨٩ ٠

قال تعالى :

« بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » (١)

الخطوة الثانية : الدعوة الى استخدام الحواس للوصول الى المعرفة (مرحلة الملاحظة والاستنباط) :

كانت الخطوة الثانية من خطوات التفكير العلمى هى استخدام الملاحظة العلمية باستخدام الحواس سواء حواس البصر والسمع أو حواس البصيرة أى القلب ، ولكى يلفت الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم نظر المتعلمين الى الادوات التى يستخدمها الانسان للوصول الى العلم والمعرفة والتى أهمها الحواس تلى عليهم قوله تعالى :

« والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » (٢) ٠

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » (٣) ٠

وفى هذه المرحلة من مراحل التفكير العلمى والتى تعد من اول المراحل للتفكير واشدها بدائية فهى تناسب بدائية العقلية البدوية التى ترتبط بالارض وما بها من مرئيات للاستدلال على وجود العلى القدير ٠ فيقول العرب « اذا كان البعر يدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ٠٠ افلا يدل هذا العالم على العليم القدير ؟ »

ولهذه العقلية انزل الله تعالى الآيات التى تحث الجاهلين على التفكير باستخدام الملاحظة والتى توجههم الى استنباط ما هو بعيد منهم لعلهم يهتدون ٠

قال تعالى :

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت » (٤) ٠

---

(١) سورة المؤمنين آية ٩٠ ، ٩٢ ٠
(٢) سورة النحل آية ٧٨ ٠
(٣) سورة الاسراء آية ٣٦ ٠
(٤) سورة الغاشية آية ١٧ ، ٢٠ ٠

وبذلك كانت الدروس فى المرحلة الثانية من مراحل التفكير العلمى تهدف الى الاهتداء بالعقل عن طريق الحواس الى وجود الله فى عظيم خلقه وبديع صنعه • كما هدفت أيضا الى الايمان بالبعث واعادة الخلق بقوله تعالى : -

« وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، ذلكبأن اللههو الحق وانه يحيى الموتىوانه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » (١) •

وهكذا فان الملاحظة العلمية تتطلب استخدام الحواس باعتبارها أبـواب المعرفة والادراك ، فاذا استخدم الانسـان بصره لاحظ واذا دقق تأمل ومتى تأمل فكر ، ومتى فكر استغرق ، والتفكير هو هدف العلم ، والاستغراق فى التفكير هو نهاية المعرفة •

واذا كان الابصار عن طريق البصر يؤدى الى الملاحظة فان الاستبصار عن طريق القلب يؤدى الى الاستبطان فى اغـوار النفس البشرية فيهتـدى الانسان الى قدرة الخالق ويؤمن بالبعث • ولذا وجه منهج التفكير فى القرآن الى ان يستنبط البشر انفسهم ، وان يستهدوا احاسيسهم ومشاعرهم ، وان يستلهموا طبائعهم وفطرتهم وان يعمـلوا ببصيرتهم القلبية فهى كافية بأن ترجع اليهم بالدليل والمعرفة •

قال تعالى :

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٢) •

«أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٣) •

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ••• » (٤)•

الخطوة الثالثة : ادراك العلاقة بين الظاهرة ومسبباتها : (مرحلة الاستدلال العقـــلى) :

وهنا ينتقل المفكر الاعلى من مرتبة النظر الى الكائنات بعين البصر الى مرتبة النظر فى الموجدات بعين الذهن المعتمد على الحواس ، واذ ذاك يتحقق له استنتاجه المقصود ويتم له استدلاله المراد فيصل الى مبتغاه من الحق عن

---

(١) سورة الحـج آية ٥ ، ٦ ، ٧ •
(٢) سورة الذاريات آية ٢١ •
(٣) سورة الحـج آية ٤٦ •
(٤) سورة الحـج آية ٥ •

هذا الطريق الذى أعد له كما يصل غيره بوساطة لون آخر من التحقيق وتلك وسائل متعددة لغاية واحدة ، وفيما يلى آيات السببية الدالة على وجـــود المبدع أو تدل على البعث ٠

قال تعالى :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون » (١) ٠

« ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها المـاء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى أنه على كل شىء قدير » (٢) ٠

ومرحلة الاستدلال بمعرفة الاسباب والمسببات هى مرحله فكرية متقدمة على مرحلة الملاحظة والاستبطان ، والانسان لا يقنع بمجرد الملاحظة للدلالة على وجود الخالق المبدع كسبب ونتيجة ومن التعرف على الظاهرة وأسبابها يستدل على ان هناك من يسبب الاسباب وهو الخالق المبدع ٠

الخطوة الرابعة : استخدام التفكير المنطقى (مرحلة العقل) :

جعل الله الكون كتابا للمعرفة ووجه الابصار والقلوب والعقول الى بدائع صنعه فيه ، ودعا الى التفكير والتدبر والتعقل فى آياته وتفهم نظمه ونواميسه وتذكر قدرته ونعمته ونقمته لعل الناس يتقون ومن اتق الله يجعل له مخرجا، ومن اتقى الله يجعل له من امره يسرا ٠

وهذه العمليات العقلية التى دعا اليها الله تفتح امام البشر باب العـلم وتحرر العقول من أسر الجهـل والجمود ٠ ولهذا أمر الله الانسان بالبحث والتفكر لكشف ألوان الغموض التى تحيط بالانسان فى الكون وفى الافـاق وفى النفس البشرية لعله يصل الى ان كل شىء خلقه الله بقدر وبقانون وســـيره وفق نظام محكم دقيق ثم هيأ الانسان وأعده لمعرفة هذا القانون وسـمح له بالامادة من القانون السماوى والاستعانة به بما فطره الله عليه من استعداد لفهمه وما وهبه من لدنه من عقل وعلم وحكمة لتسخير كل من فى الارض لصالح الانسان وتطويع كل ما فى الارض لمشيئته ٠

وقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الى استخدام العقل والافادة من العمليات العقلية للتعرف على قدرة الخالق وعظمته والايمان بوحدانيته وكتبه ورسله واليوم الآخر يوم البعث والحساب ٠

---

(١) سورة الحجر آية ٢٢ ٠
(٢) سورة فصلت آية ٣٩ ٠

قال تعالى :

« وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) ٠

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٢) ٠

« ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات أن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وماذرا لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » (٣) ٠

ولم يقتصر منهج القرآن على دعوة الانسان الى التعقل والتدبر والتفكير والتذكر والملاحظة والاستبطان باستخدام الحكمة بل دعا أيضا الى استخدام الموعظة الحسنة لتوجيه العقول الى التفكير والدراسة والبحث والكشف ٠

ولعل فى قصة سليمان مع ملكة سبأ حين اراد ان يحضر عرشها من مكانه باليمن قبل حضورها اليه بمقر ملكه بفلسطين لفتة عجيبة موحية من لفتات القرآن التى تعتبر مفاتيح أسرار الكون باستخدام العقل والعلم ٠ وهذا العمل نقل عرش ملكة سبأ من قطر الى قطر فى أقل من لمح البصر **لا يعرضه القرآن على انه عمل من أعمال السحر ولاقامت به قوة من قوى الجن ولامعجزة** تمت على يد نبى ، ولكنه عمل قام به عالم على أساس علمى فيما يبدو من الآية الكريمة ٠

قال تعالى :

« قال يا أيها الملؤا ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل ان تقوم من مقامك وأنى عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ٠٠ » (٤) ٠

وهذا يدل على ان الانسان بالعلم يستطيع ان يسخر كثير من قوى الكون متى توصل الى معرفة قانونها وذلك هو الذى صنعه صاحب سليمان ٠

---

(١) سورة الرعد آية ٣ ٠
(٢) سورة النساء آية ٨٢ ٠
(٣) سورة النحل آية ١١ ـ ١٣ ٠
(٤) سورة النمل آية ٣٨ ، ٤٠ ٠

وقد استطاع العلم الحديث أن ينقل الصوت على موجات الاثير ثم تمكن أخيرا من نقل الصور ويحاول العلماء الوصول الى نقل الاجسام بنفس الاسلوب كما صنع عالم سليمان ، وليس من شان القرآن ان يقدم النظريات والقوانين والوسائل ولكنه يبعث على التفكير ويدل على مفاتيح المعرفة واسرار الكون ويغرى بالتدبر والدراسة والبحث ٠

ضرب الامثال لتوضيح المعنى احدى الوسائل المعينة على التعلم :

ان المنهج القرآنى الذى اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فى طرائق التعلم لم يعتمد على الحكمة كعبارات موجزة تخاطب العقل فقط ولم يعتمد على الموعظة والعبارات المفصلة والقصص المطولة فحسب بل استخدم كذلك ضرب الامثال ليزداد فهم المتعلمين وليتضح معنى المفاهيم والمصطلحات المستخدمة فى عباراته حتى لا يشكل عليهم درسا ولايصعب على فهمهم أو تصورهم قولا ، فاراد الرسول صلى الله عليه وسلم بوحى من الله توضيح العبارات المجردة والكلمات المحسوسة بكلمات أخرى مدركة حتى يتضح المعنى فى عقولهم ويزداد أدراك وتبصر الافكار فى قلوبهم ٠

مثال ذلك اراد الله ان يوضح مفهوم أهل النفاق فضرب الله مثلين للناس :

المثل الاول : فى قوله تعالى :

« مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » (١) ٠

المثل الثانى : فى قوله تعالى

« أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين » (٢) ٠

واراد الله ان يمثل المشركين الذين يعبدون آلهة من دون الله بأنهم اتخذوا معبودات ضعيفة فمثل سبحانه وتعالى هذه الآلهة ببيت العنكبوت وهو من أوهن البيوت فى قوله : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت » ٠

« وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (٣) ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٧ ٠
(٢) سورة البقرة آية ١٩ ٠
(٣) سورة العنكبوت آية ٤١ ـ ٤٣ ٠

ويضرب الله تلك الامثال التى لا يعرف قدر ما فيها من حكمة الا اهل العلم القادرين على تخيل وادراك ما فى هذه الامثال من تشبيه دقيق وتوضيح متقن ٠

وحتى يؤمن الكافرون بأن عيسى عليه السلام بشر مثلهم وليس اله أو ابن الله ٠

قال تعالى :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (١) ٠

ولكى يفهم المؤمنون ان الحياة الدنيا فانيه ولا يبقى غير وجه الله ذو الجلال والاكرام ٠

قال تعالى :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا » (٢) ٠

واراد الله ان يبين للمؤمنين ان أعمال الكفار وتعنتهم وعنادهم لا تقلل من قدرته ولا تؤثر فى عظمته وان الله متمم نوره ولو كره الكافرون وأنه هو الذى نزل الذكر وانه قادر على حفظه وان عليه بيانه للناس على مدى الزمن ومختلف العصور فشبه الله أعمال الكفار بانها كالسراب فى آية وبأنها كالرماد فى آية أخرى فى قوله تعالى :

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » (٣) ٠

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ٠٠٠ » (٤) ٠

واستخدم الله ضرب الامثال كذلك للربط بين القيم الصالحة أو الخاطئة وبين الاشخاص الذين يمثلون هذه القيم حتى يكونوا مثالا يحتذى به أو يعتبر به فى حياة الافراد والشعوب فضرب مثلين للشرف والطهارة والعفة والعدل فى امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ويوسف ، ومثلين للخطيئة وسوء الخلق فى امرأة لوط وامرأة نوح ، وامرأة العزيز ٠

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٩ ٠
(٢) سورة الكهف آية ٤٥ ٠
(٣) سورة النور آية ٣٩ ٠
(٤) سورة ابراهيم آية ١٨ ٠

قال تعالى :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنـــة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القـــوم الظالمين ، ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (١) .

« وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله أنه ربى أحسن مثواى أنه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا رءا برهان ربه كذلك لنصرف عنه الســوء والفحشاء انه من عبـــادنا المخلصين » (٢) .

وهكذا ظلت طريقة الجدال والمناقشة مع استخدام الحكمة والموعظـــة الحسنة وضرب الامثال هى احدى طرائق التعليم استخدمها المعلمون المسلمون على مدى القرون فى تعليمهم لابنائهم وتلاميذهم الذين هم فى مستوى عقلى متقـدم .

والاثر التاريخى يحمل لنا قصـة الرجل المجوسى الذى كان يجادل عالما مسلما فى بغداد قائلا له :

« اتدعون أن المؤمن منكم يذهب الى الجنـة بعد الموت ويجد فى الجنة ثمارا كلما أكل منها شيئا لا تنقص ، كيف يحدث ذلك وأى شىء نأخـذ منه أى شى ينقص ؟ فرد عليه المسلم قائلا :

أرأيت لو أنك اشعلت سراجك أى مصباحك ثم جاء أهـــل بغداد جميعا فاشعلوا سراجهم من سراجك اينقص ذلك من ضوء سراجك شيئا ؟

هكذا افحم العلم والحكمة وضرب المثل الرجل المجوسى ولكنه راح يحاور المسلم قائلا :

انكم تدعون انكم تأكلون فى الجنة ولا تتغوطون ! فرد المسلم قائلا :

وماذا فى هذا من العجب الجنين فى بطن أمه يتغذى ولا يتغوط .

وقد استخدم الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم ضرب الامثال فى تعليم العرب لتقريب المراد من العقول وتصويره بصورة المحسوس ليكون أكثر تأثيرا فى النفوس من المعنى المجرد فيزداد المتعلمون عظة وعبرة ، وأوصى الرســـول عليه الصلاة والسلام بالاعتبار بالامثال .

---

(١) سورة التحريم آية ١٠ ، ١٢ .

(٢) سورة يوسف آية ٢٣ ، ٢٤ .

روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ان القرآن نزل على خمسة اوجه : حلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال • فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالامثال » •

واسلوب ضرب الامثال فى القرآن هو خير قدوة وخير أسلوب لمن اراد ان يستنير بالطريقة والمنهج السماوى فى ضرب الامثال ، فهو مضرب المثل فى البلاغة والاعجاز اذ ان تقرير القيم الخلقية والفضائل التربوية تنحو فى القرآن ناحية التمثيل بالمحسات والمرئيات حتى تقترب من الذهن ويقتنع بها العقل ولا يكون هناك سبيل لانكارها •

مثال ذلك ما مثل الله به الكلمة الطيبة وهى شىء معنوى محسوس بشجرة طيبة وهى شىء مرئى ملموس فى قوله تعالى : —

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى اكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار •• » (١) •

المقـــارنة :

نهج القرآن الكريم أسلوب المقارنة فى التعليم الى جانب ضرب الامثال وذلك لتصوير الفوارق بين الخير والشر وبين الطيب والخبيث ، وبين الجنة والنار ، وبين من يعلم ومن لا يعلم وغيرها • وعن طريق مقارنة الاختلاف بين هذا وذاك والدواعى التى تكمن فيها والنتائج التى تترتب عليها ونوع الجزاء الذى يناله كليهما فى الدنيا والآخرة — يمكن للمتعلمين أن يسلكوا هذا الطريق أو تلك بعد ان يتبين لهم الرشد من الغى دون اكراه أو فرض أو املاء •

قال تعالى :

« أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ••• » (٢) •

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣) •

« أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة » (٤) •

---

(١) سورة ابراهيم آية ٢٤ ، ٢٦ •
(٢) سورة ص آية ٢٨ •
(٣) سورة الزمر آية ٩ •
(٤) سورة فصلت آية ٤٠ •

قال تعالى :

« أفمن يخلق كمن لا يخلق ·· » (١) ·

« أفمن يعلم ··· كمن هو أعمى ·· » (٢) ·

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب المقارنة لبيان أوجه الاختلاف بين الأشياء واضدادها فجاءت المقارنة صريحة فى بعض الآيات ، كما كانت ضمنية فى بعضها الآخر عندما بين الرسول صلوات الله عليه وللمتعلمين من أهل الكتاب أن ما جاء به القرآن الكريم مصدق لما معهم من كتب سماوية ولو كان القرآن من غير عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولكن هناك تشابه كبير بين كتاب الذكر الحكيم والكتب السماوية التى نزلت من قبل لانها جميعا كتب الله وانزلت جميعا لغرض واحد أساسى هو هداية البشر والرحمة بهم ·

اذ ان الدين عند الله هو الاسلام · وهنا جاءت المقارنة ضمنية فى عدد من الآيات التى تبين ان الرسل جميعا كانوا مسلمين · حتى يؤمن الكفار بما أنزل على الرسول وعلى النبيين من قبله ·

قال تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ·

وقال نوح :

« ··· وأمرت أن أكون من المسلمين » (٣) ·

وقال ابراهيم :

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (٤) ·

وقال موسى :

« يا قوم أن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٥) ·

وقال عيسى للحواريين :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله وأشهد بانا مسلمون » (٦) ·

« وأمرت لان أكون أول المسلمين » ·

---

(١) سورة النحل آية ١٧ ·
(٢) سورة الرعد آية ١٩ ·
(٣) سورة يونس آية ٧٢ ·
(٤) سورة البقرة آية ١٢٨ ·
(٥) سورة يونس آية ٨٤ ·
(٦) سورة الزمر آية ١١٢ ·

أسلوب الكتاب القرآنى وأثره فى عملية التعليم :

ولم يكن نجاح الدعوة او نجاح العملية التعليمية كما يطلق عليها التربويون قد تأثرت بالطريقة أو بالرسول المعلم كقدوة فحسب وانما اسلوب الكتاب السماوى كان له فضل عظيم فى التأثير على المشركين والكفار فى تغيير سلوكهم واستخدام عقولهم والمبادرة باعلان ايمانهم • ويذكر هيورات فى كتابة « الادب العربى » ان أسلوب القرآن الكريم الذى يخاطب الحس تارة والوجدان تارة ثم يخاطب العقل والتفكير تارة أخرى فى الموضوع الواحد وبدرجة واحدة فى السمو فان ذلك كان يناسب العرب أو الفئة المتعلمة وقتئذ • فقد كان العرب فى أول أمرهم يعيشون على مشاعرهم تدفعهم وجداناتهم قبل أن تحدوهم عقولهم حتى اذا استحصفت هذه العقول ورقيت هذه المدارك رجع القرآن على الموضوع الواحد بالعقل والدليل والتفكير ومن أمثلة ذلك موضوع وأد البنات فى الجاهلية •

فعندما اراد الله ان يقلع العرب عن عادة وأد البنات وقتلهن احياء ذكر الله فى آياته عرضا نفسيا واجتماعيا يصور ما يصيب الاب عند ميلاد الانثى ، فالقابلة تبشر أحدهم بأن زوجته أنجبت انثى فيسود وجهه وتظلم الدنيا امامه ويتطاير الغيظ من عينيه شررا ولهبا ، ثم هو يكظم غيظه حتى اذا خرج فهو يتوارى من القوم ، فلا يحضر ناديهم أو اجتماعاتهم ويتصور الاب أن قومه هازئا ساخرا لانه لم يذجب ولدا كلا ولا يعز نسبا ولا يثير حربا ، ولا ينفع فى سلم أو حرب ، ثم يتغلب على الاب الشعور بالعار على كظم الغيظ فيأخذ ابنته ممسكا بانفاسها بتلك يديه حتى يخرج آخر نفس فى صدرها وينطفىء آخر شعاع فى عينيها « الاساء ما يحكمون » •

قال تعالى :

« واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون » (١) •

ثم تستيقظ المؤودة ويحيا المقتول يوم الحساب ، فيضطرب القاتل ثم تسأل القتيلة فيم قتلت ؟ وبأى ذنب قتلت ؟ ولم يسأل القاتل ، وهذا موقف رهيب عندما يترك الظالم ليسأل نفسه بنفسه فيجد أن الدافع ليس قويا لكى يفعل جريمته فيشعر بالخزى والاثم ، وتتجمع الاثام على رأس الظالم فلا يدرى ماذا يقول ويحار بعد ان يعجز عن ان يجد جوابا ، فسؤال المظلوم ابلغ فى النكال من سؤال الظالم •

---

(١) سورة النحل آية ٥٨ ، ٥٩ •

قال تعالى :

« واذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » (١) ٠

وبعد هذه الآيات التى تمس الوجدان وترهف الحس نحو عادة رذيلة تأتى سورة الاسراء فيها أمر عقلانى بعدم قتل الأولاد عامة وفيها اقتناع منطقى اذ أنه ليس هناك سبب أو مجال للخوف من عدم القدرة على تربيتهم فالله هو الذى يرزقهم ثم ان قتلهم فيه خطئا كبيرا فمن يدرى ايكون الوالد سعيدا أم شقيا بقتل ولده ومن يدرى أيكون الولد كلا وعبئا على والده أم يكون الوالد كلا على ابنه ٠

قال تعالى :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٢) ٠

هذه هى طريقة التربية فى منهج القرآن فالكتاب الكريم يخاطب المتعلم بقدر عقله ومعلوماته كما أنه يخاطب المتعلم بالطريقة التى تناسب الموضوع المراد تعلمه فهناك طريقة يخاطب بها المؤمن قبل ايمانه وبعد ايمانه وحين يضعف ايمانه وحين يقوى ، وطريقة يخاطب بها الجاهل الضال ليستعمل حواسه وبصيرته ، وطريقة يخاطب بها العالم ليعمل تفكيره ويتذكر عقله ويستنبط وحدانية الله وقدرته وعظمته ، فاستخدم الرسول المعلم الحكمة لتعليم الخاصة المتعلمة واستخدم الموعظة الحسنة وقصص القرآن مع الجهلة الضالين المشركين والوثنيين واستخدم الجدال مع المعاندين الكافرين من أهل الكتاب واستخدم التلاوة والتلقين مع المؤمنين فى بداية اسلامهم ٠

وجدير بالذكر أنه ليس المعلم وطريقته أو الكتاب ومنهجه مسئولان وحدهما عن نجاح العملية التعليمية وتحقيق الهدف منها وانما هناك جانب ثالث له وزنه فى عملية التعليم وهو المركز الذى يدور حوله كل من المعلم والكتاب هذا الجانب هو المتعلم أو التلميذ ٠

فالاستجابة المخلصة والتفاعل التام من جانب المتعلم والاستعداد العقلى والقدرات العقلية والاوعية القلبية المبصرة عند الفرد لها دور أساسى فى عملية التعلم ٠

فالرسول المعلم صلى الله عليه وسلم بما توفر فيه من حق عظيم

---

(١) سورة التكوير آية ٨ ، ٩ ٠
(٢) سورة الاسراء آية ٣١ ٠

وقدوة حسنة وما بذله من جهد ومشـــقة وما تحمله من عـــذاب ومعاناة ، والكتاب الكريم بأسلوبه الذى يمس القلب والعقـل وآياته التى تدل على الاعجاز والكمال لم تتمكن من تحويل جميع العرب الى مؤمنين ولم تنجـح الدعوة فى عهد الرسول من التأثير على كل العقول وليس سبب ذلك المعـلم أو الكتاب وانما الاختلاف فى مستويات استجابة العقول ووعى القـلوب ودرجة الاستيعاب عند الافراد لعبت دورا هاما فى درجـــة نجاح الدعـــوه والعملية التعليمية ٠

فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو نبى مرسل من عند الله ليعلم الناس، وقد استخدم كتاب كريم موحى اليه وتحددت له الطريقة بتشريع سماوى ، وهو المعلم القدوة والمثـــل الاعلى لكل معلم ، ولكنه مع هـــذا لم يصـــل بالمتعلمين جميعهم الى درجة واحدة من الايمان والعـــلم ، ولم يتمكن من تحقيق الهدف فى كل موقف تعليمى ، وحتى لا ييأس الرسول من هـــذا ، وحتى لا يتحرج امام الله فقال الى ربه « اللهم انى قد بلغت ٠٠ »

قال تعالى :

« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ٠

فليست كل العقول واحدة وليست قدرتها على الفهم والاســـتيعاب متماثلة فمنهم من تعلم وفهم وآمن ورغب من الاستزادة فى العلم والتعمـق فى الفهم فوصل الى درجة عالية فى التعليم وهم فئة الفقهاء والعلماء الذين تفقهوا فى الدين ، ومنهم من تعلم وحفظ القرآن كله أو معظمه ووصـــل الى درجة لا بأس بها فى العلم وهم فئة الحفاظ أو القراء ، ومنهم من وصـل الى الحد الادنى من التعليم وهم المؤمنون الذين تعلموا فرائض الاسلام واكتفوا بها ٠ ومنهم من لم يتعلم شـيئا لانه تكبر وعاند فعميت قلوبهم وفقـــدوا بصيرتهم فانغلقت عقولهم وهم فئة الكفار ٠

قال تعالى :

« يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١) ٠

وقد شبه الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الاختلاف وهـذه الفروق الفردية بين المتعلمين بالارض وشبه العلم الذى قدمه لهم بماء المطر ٠

فقال صلى الله عليه وسلم :

« ان مثل ما أتانى الله من الهدى والعلم كمثل غيث اصـــاب أرضا كان منها :

---

(١) سورة المجادلة آية ١١ ٠

- طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير (وهم فئة العلماء والفقهـــاء) ٠

- وطائفة منها أجادب امسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا (وهم فئة القراء) ٠

- وطائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من نقه فى دين الله ونفعه (وهم فئة المؤمنين) ٠

وهذا التشبيه الذى استخدمه الرسول انما يقصـد به تبيان الفروق الفردية فى القدرات العقلية والاستعدادات الفطـرية بين المتعلمين ودرجـة تقبلهم للعـــلم ٠

تطبيقـــات تعليميـــة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يقدم عليـه تلاميذه يبـــدأ بالقاء السلام تنفيذا لاوامر الله سبحانه وتعالى فى قوله :

« واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » (١) ثم يبـــدأ الدرس ويفتتح الكلام بالتسمية فيقول « بسم الله الرحمن الرحيم » (٢) ويعقبها بكلمة « الحمد لله » ثم يطلب من أحد تلاميذه قراءة آية أو سورة من القرآن • وفى نهاية الدرس يقول « سبحانك وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك » •

ولكى ينتفع تلاميذه بالدرس ويفهموه كان الرســـول عليه الصـــلاة والسلام يعيده ثلاث مرات فى ثلاث خطوات متدرجة على النحو التالى :

ـ الخطوة الاولى يتلو فيها الرسول فكرة عامة عن موضوع الدرس مع تجنب التفاصيل •

ـ الخطوة الثانية يشرح الرسول ما غمض من الكلمات ويفسر الجمل التى تحتاج الى تفسير بعد أن يتأكد أن تلاميذه حفظوا ما قرأه عليهم فى ذاكرتهم ووعته قلوبهم فقد تميز العرب بقدرة فائقه على الحفظ لمـــا لهم من ذاكرة قوية وذكاء فطرى بعد سماع الدرس لأول مرة •

ـ الخطوة الثالثة ينتقل الرسول من مرحلة التلقين ثم مرحلة التفسير والبيان الى مرحلة التذكرة فيعالج الموضـــوع بطريقة أكثر عمقا مع ضرب الامثال وتقديم الاسئلة ومناقشة الافكار حتى يزيد من فهمهم لها ، فلا ينتهى الدرس وفيه مبهما أو غامضـــا عويصـــا إلا ويوضـــحه • وكان الرســـول عليه الصلاة والسلام يقسم موضوع الدرس الى اجزاء يتناول كل درس جزء منه ويتجنب الاطالة حتى لا يؤدى الدرس الطويل الى الضـــجر والملل وقد سمح بالاطالة اذا دعا الى ذلك داع • وكان عندما يتكلم يفصل بـــين الجمل والكلمات حتى يسهل على الصحابة عملية الفهم والحفظ •

عن انس بن مالك قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل منه ، واستحب أن يقرأ بعضهم سورة أو آيات القـــران قبل تدريس الفقه أو بعده » •

---

(١) سورة الانعـــام آية ٥٤ •
(٢) سورة الفاتحة آية ١ ، ٢ •

روى عن أبى برده الاسلمى رضى الله عنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس فاراد ان يقوم ·

قال :

« سبحانك وبحمدك اشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك » ·

قالوا :

« يا رسول الله انك تقول كلاما ما كنت تقوله فيما خلا ؟

قال :

« هذا كفارة ما يكون فى المجلس » ·

عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم ولكن اذا تكلم فصل ، يحفظه من سمعه » ·

وكان عدد المتعلمين فى كل مجلس يزيد على ستين فردا يلقى عليهم الدرس ولم يقم الا ويكون المتعلمين حفظوه ، وكانوا يكتبون ما يقال فى نهاية كل درس حتى اذا نسوا ما حفظوه يرجعون الى الكتابة فيتأكدوا منه ·

عن أنس بن مالك قال :

« كنا نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم وربما كنا نحوا من ستين انسانا فيحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول ، فتراجعه بيننا هذا وهذا وهذا فنفوم وكأنه زرع فى قلوبنا ، فاذا اتقن كل واحد منهم الدرس وحفظه فليكتبه ، ويكون تعويله على حفظه ، فان اضطرب عليه شىء من محفوظه رجع الى كتابه فاستثبته منه » ·

كما قال الخليل بن أحمد : اجعل ما فى الدفتر رأس مالك وما فى قلبك التفقه وانشد فقال :

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر

وقال على بن أبى طالب :

« القلوب أوعية خيرها اوعاها » ·

ولم تكن الدروس فى كل مجلس آيات واحاديث ووصايا وتفسير وتفقه ولكن يتخلل بعض الدروس درسا فى الموعظة والقصص القرآنية عن الانبياء واقوام السابقين حتى لا يمل الصحابة · وأن كان ما يذكره درسا واحدا لجميعهم فانه يأمرهم بان يتحلقوا ويجلس هو فى وسطهم بحيث

يكون وجهه لهم كلهم ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرب من مجلسه أكثر تلاميذه علما وأسرعهم فهما ويتخذ منه عونا فى اعادة الدرس على زملائه الذين لم يتمكنوا من الفهم أول مرة فيعيده عليهم ٠

عن أبى وائل عن عبد الله بن عمر قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السئامة علينا » ٠

واذا جلس التلاميذ حول الرسول يتحلوا بالوقار ويحسنوا الصمت والاستماع ٠

قال أسامه بن شريك :

« اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كان على رؤوسهم الطير » ٠

ولم يطلق الرسول عليه الصلاة والسلام على من يتلقى الدرس على يديه لفظ طالب أو تلميذ وانما كان يقول له « صاحبى » حتى يستلين له قلبه ويكون أكثر قربا منه ٠

وكان يحضر حلقات الدرس بعض الصبية مصاحبين أهليهم وآبائهم ليتعلموا معهم ويتفقهوا فى الدين ٠ فاذا كان فى المجلس بين جملة المتفقهة حدث أو صبى به حرص على التعليم أو آنس الرسول منه ذكاءا وفطنه ، كان يقبل عليه ويصرف اهتمامه اليه ومن هؤلاء ابن عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص واذا بلغ الغلام حد المناظرة فى مسألة دينية كان يسمح له الرسول باستيفاء الحجة على من ناظره وان كان شيخا ٠ وقد أوصى الرسول أصحابة بمعاملة الصبيان والغلمان بالرفق واللين والاهتمام بتعليهم وتفقههم ٠

قال أبو هارون العبدرى :

« كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدرى يقول :

« مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انكم ستفتحون البلاد فيأتيكم غلمان حديثة اسنانهم يتفقهون فى الدين فاذا جاؤكم فاوسعوا لهم فى المجلس وافهموهم الحديث » ٠

وقد استحب الرسول عليه الصلاة والسلام ان يخص يوم الجمعة بالمذاكرة لاصحابه فى المسجد والقاء المسائل عليهم ويأمرهم بالكلام فيها عليه وسلم :

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقى على صحابته الدرس فى صورة مسألة او مشكلة ويطلب منهم الاجابة أو الحل حتى يعمل تفكيرهم وتحذب انتباههم ويزيد من استجابتهم له ٠

ويثير اهتمامهم ويدفعهم الى التفقه ٠

عن نافع ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه (فى الدرس) :

« انبئونى بشجرة تشبه المسلم لا يتحات ورقها تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ؟ قال : فوقع فى قلبى انها النخلة ، قال : فسكت القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هى النخلة قلت لأبى : لقد كان وقع فى قلبى انها النخلة ، قال : فما منعك ان تكون قلته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لأن تكون قلته أحب الى من كذا وكذا ٠ فقلت : كنت فى القوم انت وأبو بكر فلم تقولا شيئا فكرهت ان أقول » ٠

وعن أبى بن كعب رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له :

« أى آية من كتاب الله اعظم قال : قلت الله ورسوله اعلم حتى اعادها عليه ثلاثا ، ثم قلت : الله لا اله الا هو الحى القيوم ٠ قال : فضرب صدرى ثم قال ليهنأ بك العلم ابا المنذر » ٠

فكان الصحابى قبل ان يجيب على مسائل الرسول كان يسبق اجابته لها بكلمة « الله ورسوله أعلم » فقد يكون مخطئا او مصيبا فى اجابته ، فاذا اصاب هنأه الرسول واذا اخطأ كان الرسول يقول الاجابة الصحيحة ، فالله ورسوله أعلم ٠

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتدرى ما حق الله تعالى على العباد ؟ فقال : الله ورسوله أعلم ثم قال : يعبدون الله لا يشركون به شيئا قال : اتدرى ما حقهم عليه اذا فعلوا ذلك ؟

فقال : الله ورسوله أعلم ثم قال : ان لا يعذبهم » ٠

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم كلمات الاستحسان لمن يصيب فى الاجابة على المسائل تشجيعا للصحابى وحافزا له فى ازدياد الرغبة فى طلب العلم ٠

واذا اخطأ أحد الصحابة فى مجلس علم أو عبادة كان يبين لمن اخطأ خطأه فى لين ورفق دون أن ينهره أو يزجره أو يغضب منه ٠

عن معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال : بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة اذ عطس رجل من القوم فقلت : « يرحمك الله » قال فحدقنى القوم بابصارهم فقلت : وانكم اميـاه ما لكم تنظرون الى ؟ فضرب القوم بأيديهم علىافخاذهم ، فلما رأيتهم يسكتونىلكنى سكت، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى وأمى ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منـه ، والله ما ضربنى ولا نهرنى ولا سـبنى بل قال : ان صلاتنا هذه لا يصـلح فيها شىء من كـلام الناس ، انما هى التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن ٠

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشجع تعليم الصبية والغلمان ويأمر أهليهم بتعليمهم وتفهيمهم الحديث ٠

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حفظ الغلام كالنقش فى الحجر وحفظ الرجل بعد ما كبر ككتاب على الماء ٠

وبالرغم من أن الرسول عليه الصلاة والسـلام استحب ان يعـامل أصحابه (تلاميذه) بالرحمة والرقة واللين والعطف والايثار الا أنه عـرف بالشدة فى غير عنف كما عرف باللين فى غير ضعف ، فقد أمر صـحابته بان يطيعوه دون مناقشة اذا كان الامر المطلوب طاعته هو وحى من عند الله ، أما فى الأمور التى لم يأت بها الوحى فلا يصـدر بها أمر وانما يستشار فيهـا الصحابة لاخذ موافقة جماعية عليها ٠ قال الله تعالى ٠

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول » ٠

ولم يكن الرسول متكبرا على صحابته (تلاميذه) ولم يكن مسـتغلا لهم فى اداء مصلحة شخصية له مقابل ما يحصلون عليه من العلم لانه رأى فى مثل هذه الأعمال كفر بالله ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اعوذ بك من نفخة الكبرياء ، فالكبر ان كان على الله بان لا يذعن لامره فذلك الكفر التام ، وان كان على الرسول بان لا يذعن لبشر مثله فهو أيضا كفر تام ، والثالث التكبر على الخلقويدعوهم الىخدمة نفسه والتواضع له ، وذلك أيضا منازعة لله تعالى فى كبريائه ، فانه لا ينبغى لغـيره أن يكون مطاعا مطلقا ٠

وقال الله تعالى :

« الكبرياء ردائى والعظمة اذارى فمن نازعنى واحـدا منهما القيته فى جهنـم » ٠

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتطهر ويتزين ويتطيب كلما خرج الى مجلس علم أو عبادة ، منفذا لأوامر الله تعالى :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » (١) ٠

وروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الخروج الى أصحابه ، كان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته وشعره قالت : قلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ، قال : نعم ان الله تعالى يحب العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم ٠

ولما كان المسجد هو مكان العلم والتعليم والعبادة فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤمنين عن الشراء والبيع فى المسجد ، أو أن ينشد فيه ضالة ، أو أن ينشد فيه شعر ، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة ٠ عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل قال : « ان الله تعالى يقول أن خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق » ٠

وقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه والمؤمنين الى الرحلة والارتحال فى طلب العلم بقوله : اطلبوا العلم ولو فى الصين ، والمقصود بالرحلة انتقال طالب العلم من بلدة الى أخرى لتلقى العلم مباشرة من مصادره الاولية ، وقد تستغرق الرحلة عدة سنوات فلا يعبأ الطالب ببعد المسافة أو مشقة السفر فى سبل الوصول الى العلم والمعرفة من منابعها الاصلية ٠ وقد اشاد الرسول عليه الصلاة والسلام بأهل فارس فى تحملهم كل الصعاب فى سبيل العلم بقوله :

« لو كان العلم معلقا فى الثريا لناله قوم من أهل فارس » ٠

وقد عمل تلامذة الرسول بهذه الدعوة ٠ قال ابن عباس : كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلو أشار ان أرسل اليه حتى يحدثنى فعلت ، ولكنى كنت اذهب اليه فاقبل على بابه حتى يخرج الى فيحدثنى » ٠

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب أفضل مدرسة فكرية تربوية تلك المدرسة التى تعد أعجوبة الزمن ومعجزة العالم فهى الدستور الذى يرسم للبشر طريق حياته ، وقد شهد العالم أجمع بنجاح مدرسته لكثرة انصاره وصحابته ولم يكن تلاميذه مجرد بضعة أفراد فحسب بل أن تلاميذه شعوبا وأمما بأكملها ساروا على الدرب فوصلوا الى الخير والسلامة بعد أن حملوا مشعل العلم والحضارة الذى انار لهم الطريق فاذهلوا العالم كله بعلمهم بعد أن وصلت الأمم الاسلامية الى اوج عظمتها بكثرة علمائها

---

(١) سورة الاعراف آية ٣١ ٠

وانتشرت أماكن العلم والثقافة فى كل بقاع المسلمين حتى القرن الخامس الهجرى ، وكان الدرب الذى سار عليه المسلمون هو القرآن والسنة فقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام أمته بأن يتمسكوا بهما بقوله عليه الصلاة والسلام « أنى قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما : كتاب الله وسنتى » ، فمن القرآن والسنة استنبط العلماء المسلمون أفضل **نظرية تربوية** خرجوا منها بنظام تعليمى شامل ، وقد ركز معظمهم على آداب المعلم والمتعلم وأفردوا للعلم وفضائله وفضل تعلمه وتعليمه أبوابا خاصة فى كتبهم ، فاذا نظرنا الى كتب الصحاح والسنن نجدها مليئة بطرق التربية وآداب التعليم وكذلك كتب ابن سحنون والغزالى وابن خلدون وغيرهم كثيرون ، فقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام الاسس العامة للتعليم ، وكان هو القدوة الحسنة لكل المعلمين من حيث استعمال الرحمة والرأفة والرفق والتيسير بالمتعلمين بل نصح عماله (عماله أى نوابه الذين ارسلهم الى البلدان التى دخلت فى الاسلام فى عهده) وأمرهم بالرحمة والتيسير ، فقد قال لابى موسى ومعاذ بن جبل عندما بعثهما الى اليمن :

« يسرا ولا تعسرا ، وعلما ولا تنفرا ·

وقال عليه الصلاة والسلام :

« علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف » ·

وقد بين القرآن أسباب نجاح الرسول المعلم فى تبليغ رسالته فى قوله تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » (١) ·

وقال تعالى :

« ··· وانك لعلى خلق عظيم » ·

بل ظهرت كتب خاصة بآداب المعلم والمتعلم وأول ما وصل الينا من هذه الكتب كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون (المتوفى عام ٢٥٦ هـ) الذى يعتبر رائدا فى هذا الميدان حيث تناولت فيه أبوابا كثيرا وأهمها هو : ما يتعلق بتعليم القرآن العزيز ، وما جاء فى العدل بين الصبيان ، وكيفية محو الصبيان خطوط القرآن من ألواحهم ، وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان ، وما جاء فى اجازه المعلم ومتى تجب وغيرها من فصول الكتاب ،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ ·

فقد قال د. طلس . وقد ازاح (أى محمد بن سحنون) لنا الستار عن معلومات كنا نعتقد انها لابد كانت موجودة لدى المسلمين ولكننا نجهل تفصيلها فاذا بابن سحنون يرويها لنا عن ابيه عن شيخه الامام مالك امام المدينة وعن غيره من الائمة الاعلام والشيوخ الاكابر الذين عاصروا الصحابة فعرفوا عن كثب طريقة التربية العربية الاسلامية التى وضع أسسها الرسول عليه الصلاة والسلام » .

ثم توالت المؤلفات بعد ابن سحنون فى هذا الحقل التربوى فالف الآجرى المتوفى عام ٣٦٠ والخوارزمى المتوفى عام ٣٧٧ هـ ثم جاء ابن جزار القيروانى المتوفى عام ٣٩٥ هـ فالف كتابه باسم « سياسة الصبيان وتدبيرهم » وجاء ابو الحسن على بن محمد بن خلف القابسى المتوفى عام ٤٠٣ هـ فالف كتابا عن أحوال المعلمين وأحكام المتعلمين » ثم ألف فى الحقل أيضا أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيفى المتوفى عام ٤٢٠ هـ وسماه « اداب المعلمين » فى خمسة اجزاء ثم جاء الغزالى فجمع بين طرق التعليم والتربية وطرق التذكية والتصفية فابدع فيه وابتكر ذلك من خلال رسالته الى تلميذه التى عنوانها « ايها الولد » وكتابه « أحياء علوم الدين » ثم تبعهم المؤلفون المحدثون فاكثروا ولخصوا وبحثوا وفصلوا .

وهكذا كان القرآن والسنة هما المحرك الاساسى للعلماء المسلمين والمرجع الاولى لكتاباتهم فى طرائق تربية الأطفال والبحث عن انجح الطرق وأفضل المبادىء - لاقامة نظام تعليمى انطلاقا من أنه لا حضارة بغير علم ولا علم بغير تعليم ولا تعليم بغير نظام يحدد الصلة والعلاقة بين المعلم والمتعلم ، وبهذا انتشر الاسلام فى العصور الاولى للمسلمين انتشر بالعلم واستخدام الحكمة وليس بالقوة ، انتشر بالاقناع وليس بالاجبار ، انتشر بالدواة والقلم وليس بالسيف ، وكان هذا هو الاسلوب المتبع فى نشر العلم والاسلام منذ ان تفجر ينبوع النور والهدى فى واد غير ذى زرع عند بيت الله الحرام الذى كانت قلوب الناس تهوى اليه فلم يلبث هذا النور العلمى أن يصبح فيضا غمر الجزيرة العربية باكملها بل انتشر بصورة اذهلت العالم ليعم اقطار كثيرة فى آسيا وافريقيا وأوربا فظهرت على أيدى الفاتحين المسلمين مدارس العلم فى العالم الاسلامى أجمع .

وما أحوجنا اليوم للتعرف على **النظرية التربوية الاسلامية** التى نجحت فى خلق الشخصية الاسلامية فى كل مكان ووحدت بين فكر المسلمين فى كل بلد وجمعت شملهم وأهدافهم فى طريق واحد فقويت شوكة المسلمين حين تفتحت عقولهم بالعلم وكونوا امبراطورية اسلامية حين اجتمعت كلمتهم على الحق والصراط المستقيم وانتجوا حضارة اسلامية فاضت بالخير والرخاء على كل الدول من حولهم وهم يعلمون ان أساس هذا العلم والتقدم الفكرى والحضارى هو تمسكهم بكتاب الله وسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

[سورة الكهف آية ١٠٩]

أنواع التربية فى فجر الاسلام

مقـــــدمة :

استفاضت الاخبار واثبت التاريخ وكتب السـيرة النبوية أن العـرب قبل الاسلام كانت لهم طبائع وعادات يتقدسونها ويلتزمون بها ولا يتنحون عنها ، بل انها كانت من مقومات حياتهم ومظاهر وجودهم ٠

والناظر فى تلك العادات وهذه الطبائع يرى بوضوح أن فيها اهدار للعقل والفكر ولكرامة الانسان ، وأنها سببا لانحراف أخلاقهم وفساد صحتهم وعقولهم بعد أن طغت المادة على الروح ففقدالانسان العربى الامن والسلام ٠ ولا يمكن أن يعيش المرء فى ظل هذه الطبائع والعادات عيشة خير وكرامة وهى مقترنة بالقسوة والوحشية ، متجافية عن الرحمة والانسانية ، وعن كافة المعانى الطيبة الكريمة ، تأباها النفوس الحية ، وتمقتها الفطرة السليمة ٠

ولما أراد الله سبحانه وتعالىانقاذ الانسانية من هذه القبائح ،وتخليصها من تلك الشرور والآثام ، أرسل النبى الامين محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة تامة كاملة شاملة ورسالة تربوية دائمة باقية ، وكانت هى أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وأكبرها شأنا وأكثرها أثرا تلك المعجـزة الخالدة الباقية ، معجزة **القرآن الكريم** ، ذلك الكتاب الازلى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة تنزيل لاعزيز الحكيم ٠

ذلك الكتاب الذى انزله الله تعالى هدى للناس وبينات من الهـــدى والفرقان الذى جمع فيه أسباب العادتين الدنيوية والاخروية والذى يقول فيه عز وجل : « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » ٠

بهذا الكتاب الكريم المقدس الجامع لخير الدنيـا والآخرة وبالتأييد الالهى العظيم واجه صلى الله عليـه وسـلم الامة العـربية بل واجـه أمم العالم أجمـع ، وواجه عاداتها الذميمة وطبائعها الوحشـــية وأفكـــارها الخاطئة وعقـــائدها المحـرفة فقضى عليهـا ورفع من شـــأن العقل ووطد أركان الامن والسلام ، وأقام المحبة والاخاء بين الناس ووضع نواة لدولـــة اسلامية اتسعت أركانها فيما بعد وعظم شأنها بين الامم الأخرى بعد أن وضع أسس الشخصية السوية وحدد لها معالم الطريق الصحيح من خلال نظام تربوى حقق الخير للفرد والمجتمع على السواء ٠

فما هى أنواع التربية التى وضعها الرسول واستخدمها فى بنـــاء الشخصية السوية ؟

ان للتربية فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أهدافا شمولية واسعة وعميقة فهى تشتمل على تنمية الجانب الفكرى العقلى فى الانسان ، وتنمية الجانب الخلقى الفردى والاجتماعى فيه وتنمية الجانب الجسمى من الناحيتين الصحية والرياضية البدنية التى تمثلت فى التربية العسكرية ٠

والتربية فى تنميتها كل هذه الجوانب ، فانها تستهدف تحقيق تكامل شخصية الفرد من حيث نموها وتناسقها بحيث يصبح الانسان ذات نظـرة شمولية للأمور فى الحياة وما بعد الحياة ، فى الطبيعة والكون وخالق هذا الكون وما وراء الطبيعة ٠

وفيما يلى انواع التعاليم التى تحققت من القرآن والسنة على يد الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم :